نصّ / روايــة

أناييس نن

بيت المحرَّمات

ترجمة

حنان شرايخة

أثر

نص/رواية

أنابيس نن

بيت المحرمات

ترجمة: حنان شرايخة



بيت المحرمات

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب

HOUSE OF INCENT

By: ANAIS NIN

بيت المحرمات: أناييس نن

الترجمة: حنان شرايخة

الطبعة الثانية : 2013

الناشر: أزمنة للنشر والتوزيع



تلفاكس : 5522544

ص.ب: 950252 عمّان 11195

شارع الشريف ناصر بن جميل، عمارة 55 (الدوحة)، ط4

info@azminah.com info@azminah.net
Website:http://www.azminah.com

فوتومونتاج الغلاف: Val Telberg

الإخراج الداخلي : أزمنة (إحسان الناطور، نسرين العجو)

الطباعة : مطبعة عبد الكريم إسماعيل/ عمّان ـ الاردن

تاريخ الصدور : 2013

انابيس نن

تنحدر من أصول إسبانية من جهة أحد والديها، ومن أصول كوبية وفرنسية ودنماركية. أمضت طفولتها متنقلة بين أنحاء أوروبا حتى سن الحادية عشرة عندما غادرت باريس لتعيش في الولايات المتحدة، ثم عادت إلى فرنسا لتدرس علم النفس تحت إشراف أوتّو رانك، حيث تعرّفت على عدد من الكتّاب الكبار والفنانين المشهورين وكتبت عدداً من رواياتها وقصصها.

نُشِر كتابها الأول في الثلاثينيات من القرن الماضي، وقد كانت ميزتا الإبداع والتفرّد النوعي ظاهرتين منذ أعمالها الأولى، لكن كما هو الحال مع الكتاب المبتدئين فقد احتاجت أنابيس نن وقتاً طويلاً حتى حققت شهرتها على نطاقٍ واسع.

وكتبت أنابيس عدداً من الروايات منها: *القلبُ ذو الحجرات الأربع*، *أطفال القطرس*، *وجاسوسٌ في بيت الحبّ*، *وشتاء افريقيا*. كما كتبت تنظيرها عن الرواية ونشرته في كتاب «رواية المستقبل». وقد نشرت أعمالها في عددٍ كبير من البلدان كفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وهولندا، والدول الاسكندنافية، وإسبانيا، واليابان، والولايات المتحدة.

عملت خلال سنواتها الأخيرة كمحاضرة في الجامعات المختلفة في الولايات المتحدة كما مُنِحتْ عام ١٩٧٣ شهادة الدكتوراه الفخرية من كلية الفنون في جامعة فيلادلفيا، وفي عام ١٩٧٤ انتخبت رئيسة للمعهد القومي للفنون والآداب.

توفيت أنابيس نن عام ١٩٧٧.

مقدّمة المترجمة

ثمة التساؤل عن الحقيقة: أهي وجهٌ آخر أم وجهُ الآخر؟ يضعنا هذا النص الروائي أمام تعقيدٍ لا يمكن للحقيقة ذاتها أن تقبل به؛ فالحقيقة موزعة فينا، وبيننا، وفي الآخر المختلف عنّا، في الأشياء وبينها كذلك، وفي الآخر الذي هو نحن، وفي الواصل الشفاف المتقصّف بين كل هذه الاختلاطات.

الحقيقة القلقة تتمثّل وجه كائن أو جماد، سطح أو صوت، وجه الخوف والهولات والمتعة الغريبة في الانسياق لصوت الأجراس وتمثّل صور الأشجار مقطوعة الرؤوس أو تلك القائمة، وفي الأسماك المتحايلة الألوان.

وإذا ما عرفنا أن كل هذه الصور تمتزج داخل الذات لتشكّل عالماً آخر جديداً هو الحقيقة التي تملك وجهاً آخر مختلفاً: نخاف منه ونخشاه كما حكايا الجن الملفقة تتخايل من خلفها الحقائق.

تقول أنابيس نن في تقديمها لهذا الكتاب «لقد شعرت بأني أبصقُ قلبي» عندما انتهت من كتابتها فيه، وكذلك كنتُ أنا. لقد شعرت بأنه «طلع من عيوني»: هذا ما قلته لأصدقائي عندما أنهيت ترجمتي لهذا العمل.

لم يكن لهذا العمل الحميمية التي صارت له فيما بعد

إلاّ للمشقة البالغة التي تكبدتها في ترجمة هذا النص عن لغته الانجليزية، وذلك فيما يتعلقُ بالتأويلات المتعددة التي يحتملها كنص مركب، والشعرية والتصويرية المختلفة التي حاولت جاهدةً أن أحافظ عليها كي يكون النص العربي أقرب ما يكون للأصل معنىً وأسلوباً، بالإضافة إلى ضياع «الآخر» بين الضمائر غير المعلنة؛ والتي كانت تلوح بشفافيةٍ غريبة وراء كلماتٍ أو أحداث معيّنة. ولا أنسى الغرائبية والحداثة التي امتاز بها هذا النص عن كل النصوص والأعمال الأدبية التي سبق لي وأن اطلعتُ عليها؛ إنه أسلوب أناييس نن المتفرد الذي يمكن لنا أن نطالعه منذ أعمالها الأولى، وخاصة إذا ما تنبهنا إلى أن هذا العمل الذي تم نشره للمرة الأولى عام ١٩٥٨ قد جاء متأخراً نسبياً بالمقارنة مع عملها الأول الذي تم نشره في الثلاثينات من القرن الماضي، أي بفارقٍ زمني يقارب الثلاثين عاماً.

ثمة انفصالٍ غير متصل، واتصالٍ غير منفصل يشهدهما هذا النصُ الروائي في آنٍ معاً: الأجواء الحاضرة المعروفة هي ذاتها المختلفة تماماً، والزمن الحاليّ هو زمنٌ آخر ليس بالحاليّ الحاضر، وتفاصيل هي بالتفاصيل الماثلة أمامنا لكنها - هناك - ليست كذلك. والأحداث التي لم نشهدها هي التي تشهد الحقيقة علينا بها: أنّا شهدناها نحنُ ولو في الخفيّ الكامن منا.

وكنتُ معها هناك: أرقب كل الأشياء؛ الساكنة التي تود لو ينفلق عنها السكون، وتلك المتحركة المتحرّقة للسكون بسبب خوفها. وشعرتُ أنني كلّما عايشتُ التفاصيل أكثر

دخلتني هي وتخلّدت هناك.

صرتُ أخشى أن يدخلني السكون، أو أن أتحرّق للخروج منه.

وبتُّ لا أعرف الحقيقة!!

حنان شرايخة

كل ما اعرفهُ مضمنٌ في هذا
الكتاب الذي كُتب دون أن
يكون عليه شاهدٌ ؛
صرحٌ بلا ابعاد ومدينةٌ
تتارجح في السماء.

الصباحُ الذي افقتُ فيه لأبدأ هذا الكتاب سَعَلْتُ. ثمة شيء يخرج مندفعاً من حلْقي: كان يخنقني. قطعتُ الخيط الذي يبقيه معلقاً ولفظته إلى الخارج. عدت إلى فراشي وقلتُ: لقد بَصَقْتُ قلبي.

هناك آلة تُدعى «كوينا» مصنوعة من العظام البشرية. ترجعُ نشأتها إلى هندي كان يعبد سيدته، وعندما توفيت قام بصنع «فلوت» من عظامها. للكوينا صوتٌ نفّاذ ووقع أكثر سحراً من مجرّد «فلوت» عادي.

أولئك الذين يكتبون يعرفون العمليّة جيداً. احسستُ بها وكأنني ابصقُ قلبي.

ثمة شيء لا أنتظره؛ لا أنتظر حبي أن يموت.

1

كانت رؤيتي الأولى للأرض مغشاةً بالماء. إنني من ذلك العرق من النساء والرجال الذي يرى كل الأشياء عبر هذه الستارة البحريّة، وعيناي بلون الماء.

بعيني حرباء نظرتُ في وجه العالم المتقلّب، وبرؤية مجهولة التسمية نظرتُ إلى ذاتي التي لم تكتمل.

أذكر ولادتي الأولى في الماء؛ شفافيةٌ كبريتية تحيطني من كل الجوانب، وعظامي تتحرّك كأنها مصنوعةٌ من مطاط. أترنحُ وأطفو، ثم أقف على رؤوس أصابعٍ مفرغة من العظام كي أنصتَ لأصوات بعيدة. أصوات لا قدرة لأذن بشريّة على التقاطها، وأرى أشياءَ لا قدرة لعين بشرية عَلى رؤيتها. وُلدْتُ معبأة بذكريات أجراس الأتلّانتيد[1]. أنصتُ دائماً لأَصوات ضائعة وأبحث عن ألوانٍ متلاشية. واقفةٌ للأبد علىَ الحافة مثل إنسانٍ

(١) الاتلانتيد: المدينة التي ضاعت وصارت اشبه بالأسطورة. (الموسوعة).

توجعه الذكريات، وأمشي منفرجة الساقين كأنني أسبح. أخترقُ الهواء بزعانف عريضة ورقيقة، وأسبح في غرف بلا جدران. الكاتدرائيات طُردت من جنة الصمت، تتمايلُ فوق متن الجسد مثل موسيقى صامتة.

يمكن العثورعلى الأتلانتيد من جديد - في الليل فقط؛ عبرَ الحلم. وعندما يغطي النوم المدينة الجديدة المتشنجة تندثر صلابة العالم الجديد وتنزلق أثقل المداخل بفعل أصوات ناعمة لأجراس مزيتة ويدخل المرء عالم اللاصوت في الحلم. ثمة الرعبُ والمتعة في جرائم تتم في صمت، في صمت الانزلاق والتدافع الخفيّ. ملاءات الماء تجثم فوق كل شيء وتخنق الصوت. إنها مجرد هولَة [1] دفعتني بالصدفة إلى السطح.

ضائعة في ألوان الاتلانتيد. الألوان تتلاحق متداخلة في بعضها دونما حدود فاصلة. أسماك مصنوعة من المخمل ومن الأورغندي[2] المزركش، من التفتة [3] اللمّاعة، من الحرير والريش والشعر الناعم؛ أسماك بخواصر ملونة وعيون كريستالية حجرية. وثمة أسماك أخرى من جلد عتيق بعيون تشبه الريباس[4]، عيون مثل محّ البيض، ترّتعش الأزهاَر فوق سيقانها مثل أمواج البحر. لا شيء هناك يشعر بوزنه، وفرسُ البحر يتحرك مثل ريشة.

---

(١) هولَة: قوة مهددة أو صورة غير سويّة أو شاذة لكائن ما. (المورد).
(٢) الأورغندي: نوع من الموصيلين الشفاف الرقيق. (المورد).
(٣) التفتة: نسيج حريري رقيق وصقيل. (المورد).
(٤) الريباس: عنب الثعلب. (المورد).

إنه لأمر يشبه فعل التثاؤب، فقد أحببتُ السهولة وشواش الرؤية والرحلات اللطيفة في الماء الذي يحمل المرء رغم المصاعب. كان الماء موجوداً هناك ليحمل الواحد منا وكأنه المارد الحنون؛ كان الماء موجوداً دائماً لراحتنا، وعبر الماء تنتقل الحيوات والعشق ، الكلمات والأفكار.

غفوتُ بعيداً تحت أعماق العواصف. تجولتُ داخل اللون والموسيقى كأنني داخل المحارة. لم تكن هنالك تياراتُ أفكار، وإنما رقة الدفق والرغبات تختلط وتلامسُ وتسافر وتنسحبُ وتتجول في أعماق الأمان التي بلا نهاية.

لا أذكر أنني شعرتُ بالبرد هناك، ولا بالدفء كذلك. لا ألم بسبب البرد أو الحرارة. هي حرارة النوم دون حمّى أو ارتعاش. لا أذكر أني شعرت بالجوع. كان الغذاء يتسلل عبر مساماتٍ خفية. ولا أذكر أني بكيت.

كل ما أحسست به كان رقة الحركة ـ الحركة نحو جسد آخر ـ في جسد آخر أضيع فيه. يهدهدني صوت الماء وَخفقان الحواس َالبطيء والحركة الرقيقة للحرير. حبٌ دون معرفة، وحركة سهلة دون أي جهد في تيار الماء والرغبة، والتنفس بانجذابٍ خالص نحو الرَغبة بالذوبان.

صحوتُ عند الفجر ملقاة على صخرة، وهيكلُ سفينةٍ اختنقت بأشرعتها.

2

الليل يحـيط بي، وأنا مـثل صـورةٍ لم تُنزع من إطارها. الشق في بطانة المعطف يجعلهـا تبدو وكأنـها شقي محارة. الليل والنهار يختلطان وأنا أسقط بينهما لا أعـرف في أي طبـقـة منهـمـا كنت؛ أهو أول الفـجـر الرمادي البارد، أم غطّاء الليل الأسود؟

كان وجه سابينا معلقاً في عتمة الحديقة. من العينين عبرت ريحٌ جـافة وحـارة أذبلت أوراق الشـجـر وقلبت الأرض رأساً على عقب؛ كل الأشيـاء التي كـانت تقف منتصبةً تتـحرك الآن وتدور حـول الوجه، حـول وجههـا هي. حـدّقت بنظرةٍ مـعتقة؛ قـرونٌ ذات حـضـارة وترف تومضُ قادمة في موّاكب بعيدة. من جلدها تفوح روائح زكيّة تشبه البـخور. كل إيماءةٍ منها تثير دفق الدم وتوقظ ترنيـمـة نبضٍ تشبـه نبض كثبّان الصـحـراء، ترنيـمـة هي صوت خطواتها تطأ مجرى الدم وتطبع صورتها هناك.

صوتٌ يقاوم العصور، ثقيلٌ يكسر كل ما يمسّه، ثقيلٌ لدرجة أني خفت أن يدق في داخلي رنيناً أبدياً؛ صوتٌ صديء فيه صوت الكؤوس والصرخات المبحوحة تطلعُ من الدلتا لحظة الذروة.

على كتفيها ينطرح شال أسود منسدلاً مثل شعرٍ فاحم. نصفهُ مطويٌ والنصف الآخر متهدلٌ يطفو من حول جسدها. وقبل اللحظة التي تحرّكُ فيها جسدها يطفو الثوب من حولها كما لو أنه يعي نبضها ويحسّ به. ويظلُّ يطفو بعد أن تقف كأمواجٍ تنحسر لتعود إلى بحرها. أكمامها متهدلة وكأنها تنهيدة طويلة. وطرفُ ثوبها يرقص من حول ساقيها.

القلادة الفولاذية تومض حول عنقها كأشعة الشمس. صوت الفولاذ كصوت تضارب السيوف... خطوةٌ من فولاذ... هيكل مدينة نيويورك الفولاذي مدفونٌ في الجرانيت. مدفونٌ لكنه قائم منتصب. خطوةٌ من فولاذ.. مقطوعاتٌ موسيقية تضرب على الأوتار الفولاذية لغيتارات الغجر وعلى المساند الفولاذية للمقاعد المدفّأة بأنفاسها؛ الستائر الفولاذية تسقط محدثة صوتاً كصوت وابلٍ من البَرَد يتكسّر بين شقيّ الرحى. والأعمدة الفولاذية تطرق بعضها. قلادتها تحيط برقبة العالم، ولا تذوب. إنها تحملها مثل تذكار يهزّه أنين آليّ كي يوافق النغمة اللا ـ بشرية لسيرها.

تسقط الأوراق من وقع كلماتها، والزجاج المصبوغ

يبهت تبعاً لتقلبات مزاجها. الصدأ في صوتها، الدخان في فمها، وأنفاسها تعتم عينيّ مثل أنفاس تُعمي المرآة.

تتحدّثْ ـ نصف حديث؛ عبارات لا تحتاج إلى نهاية، اختصارات. والأجراس الصينيّة تدقّ بقضبان تعلوها رؤوسٌ من قطن. أزهار البرتقال الكاذبَ مرسومة على جدران البورسيلان. وكلماتٌ هامسة وحميمية ، نصف ـ حديث لنساء طريات الأبدان. كل الرجال الذين عانَقَتْهم، وكل النساء، يتعرون الآن جميعاً أمام صدى ذاكرتي. صوت يتداخل بصوتَ آخر، مشهدٌ داخل مشهد آخر، وامرأةٌ في أخرى ـ مثلَ حامضٍ يكشف نقشاً غَير مرئي. امرأة داخل أخرى بأبدية تامة. والكلُّ يتقدّم في موكبٍ بعيد يجعل عقلي يتناثرَ إلى أجزاء، إلى مقطوعات رباعية لا يمكن لأي موسيقيّ أن يعيدها إلى أوركسترا موحدة.

قناع وجهها شمعيّ، مضيءٌ وثابت، بعينيها اللتين تشبهان عيون الخفرُ. هي تراقب مشيتي المترفة، وأنا الهمسة الصافرة على لسانها. في أعماق بعضنا كنّا ندور بعيوننا المتعهرة. كانت شبحاً في حرير، هي شبح يرقص متباعد الساقين؛ وأنا كَتَبْتُ بالعسل وغبار الطلع. نقشتُ السر الرقيق للمرأة في عقول الرجال بكلمات من نحاس؛ ووشمتُ صورتها في عيونهم. كانواً قد احترقوا بالحرارة الصاعدة من أحشائهم وبسّم الأساطير الذي لا يذوب. وإذا ما فشلت السيول في محاصرتهم،

أو إذا ما استطاعوا أن يحرروا أنفسهم؛ قمتُ باصطياد ذاكرتهم بالحكاية التي يتمنون نسيانها. كل هذا كان مفاجئاً ومضغناً في امرأةٍ ربما دُمرَت بقسوة. لكن من الذي سيكسر الهلوساتَ التي كَنتُ كل ليلة أهدهدها عليها كي تنام؟ عشنا في شَبَحيّة تامة أنا وسَابينا حتى نزف قلبانا من الحجارة الكريمة فوق جباهنا، وتعبَ جسدانا من ثقل ثيابنا المطرزة، واحترقت فتحاتُ أنفينا من دخان الروائح والعطور؛ وحين مضينا نحو عصور أخرى أحاطونا بأطرٍ من نحاس. كان الرجال يميزونها دائماً: ذات الوجه المُتألق وذات الصوت الصديء. أما نحن، هي وأنا، فقد كنا نميّز بعضنا: أنا وجهها، وهي أسطورتي.

أحاطت نبضي بأساورَ فولاذية مسطّحة فصار يدق مثلما تريد له أن يكون، يفقد إيقاعه البشري ويتسارع متضخماً كأنما في طقوسٍ بدائية مجنونة. صوت نواح «الفلوت» والأنشودة الثنائية للعاصفة يخترق عظامنا الهزيلة. صوت احتكاك عظامنا ـ قادمٌ من الذاكرة البعيدة ـ فوق الأسرّة حيث خلقنا معبدنا؛ لقد استحالت كلها إلى شبقٍ عميق.

عندما سِرنا معاً؛ انفجرتْ الأسهم الناريّة من إضاءات الشوارع؛ التهمنا الشوارع الاسفلتية بزئيرٍ وحشيّ والبيوت بعيونها المغلقة وأهداب الجيرانيوم التي تغلّفها؛ ابتلعنا أعمدة الهاتف وأسلاكها المرنّجة بالرسائل

التي تحملها؛ ابتلعنا القطط الضالة؛ الأشجار، التلال والأسيجة وابتسامة سابينا الخادعة نحو ثقب الباب. يئن الباب وينفتح فتنطبق ابتسامة سابينا. صوتُ عندليبٍ ينساب برقة؛ معسولاً. أصابع مدرّبة على «الفلوت». فتح البيتُ بوابته الخضراء وابتعلنا. ثم كان السرير يطفو.

تحطّمت آلة التسجيل، وانكسر صوت الغناء الخفيض، وجرحت الشظايا أقدامنا. كان الوقت فجراً وكانت قد تاهت. أعدتُ البيوت إلى الشوارع، أعدتُ ترتيب أعمدة الهاتف على امتداد ضفة النهر، والقطط الضالة أعدتها لتتقافز في الطريق. أعدتُ التلال إلى أماكنها. انبثقت الطريق من فمي مثل وشاحٍ مخملي واتخذتْ شكلها الملتوي كما الأفاعي. والبيوت فتحتْ عيونها. كان لثقب المفتاح انحناءة ساخرة مثل علامة سؤال. إنه فمُ المرأة.

كنت حارسة أصنامها، ودُماها، وبطاقات البنوك مستديرة الزوايا كحواف الموج، نوافذ المدينة صبغت بضوء المطر وبالدم الذي كانت تستنزفه مني مع كل كذبةٍ وكل خدعة. رأيتُ رماداً تحت الجلد الذي يغطي خدّيها: هل تموت قبل أن نتحد معاً برباط غادر؟ بالعيون، والأيدي، وبالحواس التي لا تملكها إلاّ النساء وحسب.

ليس ثمة خداعٍ بين النساء. تستلقي الواحدة منهن

بأمان كما لو أنها تستريح على صدرها هي.

لم تعد سابينا تعانق الرجال والنساء. وفي حمّى قلقها يفقد العالم طابعه البشري، وكانت تفقد القدرة على ملاءمة جسد مع آخر باتساقٍ بشري. كانت تخترق الآفاق وتنفذ إلى كواكب مجهولة بلا أبعاد، فتفقد قطبيتها ومعرفتها المقدسة بتساوق القدرات العقلية في الذات الواحدة. كانت تنشر نفسها كالليل فوق الكون وما وجدت إلهاً تضاجعه. إن النصف الآخر ينتمي للشمس وهي في صراعٍ مع الشمس والضوء، فلا تحتمل الأشعة الساقطة على كتابٍ مفتوح، لا تحتمل مجموعة متناغمة من الأفكار تجمعها ثيمة مشتركة؛ إن الشمس لن تغطيها، ونصف العالم ينتمي إليه؛ كانت تعيد أفعاها إلى ذلك الوحيد الذي يمكن أن يغطي قوامها فيمنحها متعة الولادة.

تعالي معي يا سابينا، تعالي إلى جزيرتي. تعالي إلى جزيرة الفلفل الأحمر الحار الذي يُسلَق بألسنة لهبٍ من نحاس. حيث جرار الخزف البربرية تختزن الماء الذهبي، أشجار نخيل وقطط بريّة تتصارع، وعند الفجر حمارٌ ينهق، ووقع أقدام على الحيد البحري[١] المرجاني، شقائق النعمان، الجسد مغطى بأعشاب بحريّة طويلة، وشعر ميليساند[٢] المتدلي من شرفة مسرح

(١) سلسلة صخرية قرب سطح الماء. (المورد).
(٢) وصف لشعر متهدل. (الموسوعة).

«أوبرا كوميك»[1]، أشعة الشمس الماسية التي لا ترحم، الصخور الرمادية وأشجار الزيتون، أشجار الليمون بثمارها المعلقة مثل فوانيس مضاءة في حفلة أقيمت في الحديقة. أغصان الخيزران المرتجفة أبداً، والأحذية القماشية خفيفة الوقع، أشجار الرمان تتدفق بالدماء، ترنيمة بربرية مثل صوت الفلوت: طويلةٌ وملحاحة ـ ترنيمة الفلاحين بأصواتهم الواثقة المرتعشة يُقسمون، بأصواتهم المرتعشة يقسمون، وقد غيّبوا العرق المتَسايل منهم مع البذور بين ذرات التراب.

إن جمالك يغرقني، يغرقُ جوهري. وحين يحرقني جمالك أذوب كما لم أفعل أمام رجل. كنتُ مختلفة عن كلّ الرجال، وكذلك عني، لكنني أرى فيك ذاك الجزء مني وهوَ أنت. أشعر بك في داخلي؛ فأحسُّ بصوتي يصير أكثر ثقَلاً وكأنني تشرّبتك. بالنار تلتحم كل خيوط التشابه الرقيقة فلا يعود بإمَكان أيٍ كان أن يكشف الشرخ.

سابينا ، إن أكاذيبك ليست بالأكاذيب. إنها سهامٌ تنطلق من فلكك بسبب قوة مخيلتك، كي تثري الهلوسات وتدمَّر الحقيقة، وسوف أساعدك: أنا من سيخترع الأكاذيب لك وبها سوف نجتاز الكون معاً. لكنني سوف أنثر خيوط آريان الذهبية وراء أكاذيبنا ـ

---

(١) أوبرا هزلية ذات نهاية سعيدة، تتضمن حواراً متصلاً. (الموسوعة).

لأن المتعة الأكبر هي أن يتتبع المرء خط الزيف ويعود إلى الأصل حتى يتمكّن من النوم ليلةً واحدة في السنة وقد غسلَ نفسه من كل البُنى الوهمية.

سابينا، أنت قد فرضت انطباعك فوق هذا العالم. وأنا عبرت من خَلاله مثل شَبح. هل انتبه أحدٌ لطائر البوم فوق الشجرة أثناء الليل، للخفاش الذي يضرب حافة النافذة بينما الناس في الداخل يتحدّثون، والعيون التي تعكسُ كالماء وتتشرّب مثل ورق النشاف، والشفقة التي تومضُ بهدوء مثل ضوء شمعة، والمحبّة التي يُهيىء الناس أنفسهم لها كَي يناموا؟

هل ثمة من يعرف من أكون؟

حتى صوتي، فقد جاء من عوالم أخرى. كنتُ محنطةً بهلوسات سرّي. معلقةً فوق الكون أنظر إلى الطريق التي سوف أجتازها دون أن أدوس ذرةً من تراب أو عشبةً واحدة. خطوتي كانت مرهفة الحسّ؛ وأقلُّ احتكاك بحصوات الطريق يمكن أن يُلجمَ مسيري.

عندما رأيتك يا سابينا اخترتُ جسدي.

سوف أتركك تحمليني إلى الخصب الذي يخلقهُ الخراب، ومن ثَمَّ سأختار جسداً، ووجهاً، وصوتاً. أصيرُ أنت، وأنت تصيرين أنا. أسكتي الدفق الحسيّ في جسدك وَلسوفَ تَريْنَ في داخلي - تماماً كما هي في داخلك - مخاوفك الخاصة وشفقتك أنت. وسوف ترين الحبّ المجرد من الانفعالات قد مُنِحَ لكَ. وأنا، سوف

أرى الانفعالات المجردة من الحبّ. أخرجي عن دورك واتركي نفسك لجوهر رغباتك الحقيقية. وللحظة أوقفي انحرافاتك العدوانية، وغادري القيود الصلدة التي لا تقهر.

أنا .. سوف أعتقك منها.

توقفي عن الارتجاف والارتعاش، توقفي عن الشتائم واللهاث، ولتجدي من جديد جوهرَك الذي هو أنا. تكونينني لساعةٍ من الزمن؛ أي نصفك الآخر، أنا. النصف الذي فقدتَ. فكل ما أحرقته ومزقته، وكل ما حطمته لا يزال في يَدي: أنا ربّة الأَشياء المنكَسرة، وقد احتفظتَ بما هو سرمديٌ منك.

حتى العالم والشمس، لا يقدر أيٌّ منهما أن يظهر وجهيه الإثنين في الوقت ذاته.

ملتحمتان كلتانا الآن في نسيجٍ لا ينفصم. جمعتُ كلّ المتناثرات معاً وأعدتُها إليك. ركضت مع الرياح تتناثرين وتتبعثرين. وركضتُ خلفك مثل ظللكِ أجمع ما ألقيتهِ في صناديق عميقة.

أنا وجهك الآخر

وجهانا التحما معاً بزغبٍ طريّ. التحما معاً: يُظهران وجهين اثنين لروحٍ واحدة. وحتى عندما مررتُ كالنَفَس في غرفة أربكتُ الآخرين وأزعجتهم إذ عرفوا بأنني مررتُ.

كنتُ اللهب الأبيض في أنفاسك. أنفاسك الحارة

التي تُذْبلُ العالم. استعرتُ وضوحك المرئي وكان من خلالكَ أن تركتُ بصمتي في هذا العَالم، وخَلَّدْتُ وهجي فيك.

هذا الكتاب أنت التي خططته

وأنت المرأة التي هي

أنا

كان لزاماً على وجهينا أن يشعّا اثنين منفصلين ـ مثل الليل والنهار، دائماً ينفصلان بفراغٍ ما وبتحولات الزمن.

يصعد الدخان برأسي إلى السقف: يعلّقهُ هناك. أنظر للأسفل وأرى عيون ضفدع، شعرٌ قشي اللون، فمٌ من الجلد الشائه، مرايا الرؤوس الصلعاء، وأيدي القردة المفرّاة وراحاتها التي بلون لحم الخنزير. الموسيقى تجلدُ الماضي وتطرده من مدفنه، والمومياءات تضربُ بالسوط ذاكرتي.

إذا كانت سابينا الآن مجرد ذكرى؛ وإذا كان عليّ أن أجلس ها هنا بينما هي لا تعودُ أبداً! إذا ما تخيلتها في ليلةٍ من الليالي لمجرد أن المخدّر خلّف جروحاً خفيفة ونسج طَبقات جسدي ثم ألقاها على أراجيح مشبّكة من الحرير الفارسي، وغطّى بالقطن نهايات الأعصاب فيه وأرسل سهام الخيال المشعة عبر لحم الجسد. . .

إذا كان الأمر كذلك فها أنا أتجمّد وها رأسي يتدحرج للأسفل عبر خيط دخانٍ رقيق. أبحث عن

سابينا من جديد بألم عميق بين الوجوه التي بلا ملامح.

إنني أختنق بالخيالات المستعصية والانعكاسات في المرايا المشققة. أنا إمرأة بعينيّ قطٍ سياميّ [1]، ابتسم دائماً بعد كلماتي ذات الدلالة، ساخرة من قوتي. أبتسم لأنني أصغي للآخر، وأصدّق الآخر. أنا دُمية شدتها أصابع غير مدرّبة، مُزقتْ ونُزعتْ مني ذراعايَ بقسوة؛ ذراعٌ ميّتة، والأخرى تكتب بحماسٍ مفرط وسط الفراغ. أضحك؛ ليس عندما تتطابق كلماتي المكتوبة مع حديثي، بل حين تتطابق مع ما هو خفي تحت هذا الحديث. أريد أن أعرف ما الذي يحدث تحتها إلى درجة أنها ترقّم باضطراباتٍ مريرة. كلا التيّارين لا يلتقيان. إنني أرى فيّ امرأتين التحمتا بغرابة عجيبة، مثل توائم السيرك. أراهما تنفصلان عن بعضهما. باستطاعتي أن أسمعَ مَزْقَ الانفصال، الحب والغضب، وصوت الإيلام والشفقة. وعندما يتوقف فعل الانتزاع فجأة ـ أو عندما أتوقف عن كوني واعيةً لهذا الصوت ـ يخيّم الصمت أكثر قوةً من ذي قبل، إذ ليسَ من شيءٍ حولي سوى الجنون. جنون الأشياء تتدافع، تتدافع داخل النفس الواحدة، والجذور تشق طريقها باندفاعٍ كي ينمو كلٌّ منها منفصلاً. لقد وُجدَ القيدُ ليحقق الوحدة.

يحتاج الأمر فقط إلى مقطوعةٍ موسيقية توقف فعل الانتزاع هذا للحظة واحدة؛ لكنَّ الابتسامة تأتي من

---

(١) قط أليف ونحيل بعيونٍ زرقاء. (المورد).

جديد، وأنا أعرفُ أنّا. . . كلتانا قد وثبنا إلى ما بعد الالتحام.

ثمة رماديةٌ ليست بالرمادية الاعتيادية. إنه سقفٌ رصاصيّ كبير يغطي العالم مثل غطاء مقلاة الحساء. أنفاس الناس مثل بخارٍ يتصاعد من مصبغة. دخان السجائر مثل غيمة رمادٍ تُقذف من بركان فيزوف قبل الحمم النارية. الأضواء بنكهة الكبريت، وكل وجه يحدّق فيك بقوة النقائص التي فيه. ضيق مساحة غرفةٍ ما يشبه ضيق قفصٍ حديدي ليس بإمكان المرء أن يجلس فيه أو يستلقي. واتساع مساحات غرف أخرى يذكّر بالخطر المميت المعلّق أبداً فوقك ينتظر لحظةَ استمتاعك كي يسقط. الضحك والدموع ليسا بتجارب منفصلة مع وجود فترات للراحة: يتدفقان معاً في حالة تشبه المشي بينما سيفٌ يقبع هناك، بين ساقيك. المطر لا يبلل شعرك بل ينفذ إلى خلايا الدماغ وبعنادٍ يتسرّب ليرشح هناك. الثلج لا يجمّد يديك، إنه كالأثير يخترق الرئتين حتى تنفجرا. كل البواخر تغرق بسبب نارٍ تُضْرَمُ في أحشائها، وهنالك نيرانٌ تهسهس في قبوِ كل بيت. الجسد البض لمن نحبُ هو من ستجرحه شظايا الزجاج وتسحقه العجلات. الأنّات الطويلة في الليل إنما هي أنّات الموت. الليل يقدّم العون لمعذبينا، والنهار هو الضوء الشاهد على الاكتشافات المُرَوِّعَة. وإذا ما نبح كلبٌ فإنه يفعل هذا لأن الرجلَ الذي يحبُ الجراح

الكثيرة يقفزُ الآن إلى الداخل عبرَ النافذة. الضحك يسبق الهستيريا. إنني بانتظار السقطة الثقيلة، وزَبَد الموتِ كي يملأ الفم.

غَرفةٌ مسقوفة تهددني وكأنها مقصٌ مفتوح. النوافذ يونانية. أستلقي على سرير مثل مفرش الحصى. كل الاتصالات تنقطع، وببطء أبتعد عن كل مخلوق أحبُّه. ببطءٍ، بحذرٍ، وبعزمٍ. أعتَرف لهم بكل ما أنا مَدِينةٌ لهم به، وبما هم مدينون لي. أغربلُ نظراتهم الأخيرة ولحظات الذروة الأخيرة. بيتي الآن خاوٍ. أشعة الشمس الصقيلة الحيّة تعكس بهدوئها كل الدّلالات المضمَّنَة وتجمعها، وكذلك الخيالات السرّية التي ستجعلني مجنونةً ذات يومٍ عندما أقف أمام جدرانٍ جامدة أسمعُ وأرى ما لا يمكن لأي إنسان أن يقدر علَى سماعه أو رؤيته. أبتعد عنهم جميعاً. أموت في غرفة صغيرة مقوّسة كالمقص وقد جُرِدتُ من كل حبي وانتماءاتي، ولن يكون لي ـ حتّى ـ اسمٌ في سجّل الفندق. وفي الوقت ذاته أعرف أنني لو بقيت في هذه الغرفة لأيامٍ قلال فإن حياةً مختلفة سوف تبدأ ـ مثل التئام لحم الجسد بعد عملية جراحية. إنه الخوف من هذه الحياة الجديدة ما يستفزني أكثر مما يفعل الخوف من الموت. أقفزُ من السرير وأركضُ هاربةً من هذه الغرفة التي تتسعُ من حولي، مثل بيت عنكبوتٍ سام يحاصر مخيلتي ويقضم ذاكرتي، حتى أنني فيّ سبع لحظاتٍ قد أنسى

مَن أكون ومَن أحببتُ.

لقد كانت غرفة رقم ٣٥ التي ربما صحوت فيها الصباح التالي لأجد نفسي مجنونة أو مُبتَذَلَة.

انكسرتْ الرغبةُ التي شدّت الأعصاب، وبدا كل عصبٍ يتقصّف وحده بتتالٍ مستمر محدثاً جروحاً يركضُ فيها الحامض الحارقَ بدل الدم. انطويتُ داخل حياتي الخاصة أبحثُ عن ممرٍ مشجرٍ خالٍ كي أطلق فيه صرخاتي المخنوقة الحارقة، كي أذيبَ الألم في مِرْجَلِ الكلمات؛ يغرفُ منه الجميع، وكلُّ الذين يتلمسون في الكلمات مأوى لوجعهم. كم هو كبيرٌ هذا المِرْجَل الذي أحركه الآن؛ أنا الآن أُطعمُ الآخرين حامضاً ملء أفواههم ، وكلماتٍ مرارتُها تكفي لتحرقَ كل المرارة.

أكشطْ عن الأرض قشرتها بنيّة اللون، بعدها سوف يتعرّى كلّ البحر؛ كلّ شقائق البحر سوف تطفو فوق سريري، وتُنهي كلُّ السفن الميّتة رحلاتها في حديقتي. اطردْ الأرواح الحارسة التي تدقُّ الساعات فوق رأسي أثناء الليل؛ الوقت الذي يجب أن يتوقف فيه العدّ؛ إنها تَدُقُّ لأنها تعرفُ أنني أخدعها في أحلامي منذ قرون. لا بد أنها تُدَق مثل ساعة في مواجهتي... وليست فوق رأسي.

سمعتُ صوت العود الذي أُحضرَ من البلاد العربية وأحسست في نهديّ تيارات من النار التي

سالت في قصر الحمراء[1]؛ لقد حَرَرتني من النقاء الخالص للماء.

انشطر ألمُ الحبّ الخالص النقاء، وانشطر الحبُّ...

كنتُ في قارب من الياقوت الأزرق يرحلُ فوق بحارٍ من المرجان، حيث وقفتُ عند المقدمة أغني. غنائيَ يشدّ الأشرعة ويمزقها؛ وحيث تمزقت الأشرعة احترقتْ حوافُ المزق. أما الغيوم فقد تناثرت بفعل صوتي إلى مزَق كذلك.

رأيت مدَينةً يقوم فيها كل بيتٍ على صخْرة، بين بحار سود مليئة بأفاعٍ أرجوانية تطلقَ إشارات تحذيرية، تلعقُ الصخرَ وتُحدّق من فوق أسوار الحدائق بعيونٍ منتفخة كالبصيلات.

رأيتُ شجرة النخيل الزجاجية تتمايلُ أمام عينيّ؛ وكانت أشجار النخيل في جزيرتي تقفُ صامتةً ومغبّرة حين رأيتها تموتُ ألماً. بدت لي الأوراق الخضراء ذابلة، أما الأشجار فمن زجاج جامد، بينما نبتت ورقةٌ جديدة في أعلى قمة شجرة النخيل الزجاجية.

من قلب البيت الأبيض انبثق ممر أبيض محفوف بالصبّار القوي المنتصب، ذي أشواك طويلة وقشرة صلبة؛ سرمديٌ لا تحرّكه الرياح. وفوقَ نبات الصبار السرمدي ترتجف أغصان الخيزران . الصبّار والخيزران

(١) دلالة على الدماء التي سالت في قصر الحمراء ـ المترجمة.

قريبان من بعضهما يعزفان أغنية الريحِ الأبدية.

للبيت شكل البيضة. مفروشٌ بالقطن وليس فيه نوافذ. ينامُ المرءُ في الأسفل ومن المحارة يسمع موسيقى الشارع وبائع التفاح الذي لم يعثر على جرس الباب.

الخيالات ـ تُحْدِثُ فعلَ ذوبان الروح في الجسد مثل تدفق حامض الذروَة العذب. الخيالات تجعل الدم يتراكض ذهاباً وإياباً. ويقظة العقل التي تترقب لتحمينا من لحظات النشوة الزلقة لم يعد لها الآن أي فائدة. فالحقيقة قد أُغرقتْ والخيالات تُخنَقُ في كل ساعةٍ من النهار.

لا شيء يبدو حقيقاً اليوم سوى موت السمك الذهبي الذي اعتاد على ممارسة الحب بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة داخل الحوض. وها الخادمة قد منحتْهُ دفناً مسيحياً[1]. السمك طعامُ الدود! السمكُ طعامُ الدود!

---

(١) قد يكون المعنى أن الخادمة دفنت السمك الميت تحت التراب ـ المترجمة.

3

ها أنا أطفو من جديد. كل الحقائق، كل الكلمات، كل الصور، وكل التنبؤات تحوم فوقي وتضلل بعضها. الحلم! الحلم! الحلم يدقّ داخلي بصوت جرسٍ نحاسيّ عملاق لحظة أتمنى أن أضلله. يضربنيَ بأجنحة خفاشٍ عندما أفتحُ عينين بشريّتين تأملان أن تعيشا بلا حلم. وحين يصفعني ألمُ البشريّة بضراوة، وعندما يصدئني الغضبُ، أقومُ. أقومُ دائماً بعد الصَلْبِ وأنا في رعبٍ من حالات صعودي. الشرخ في الحقيقةَ. الرحيل المقدَس. أسقطُ. أسقطُ في العتمة بعد أن أصطدم بالألم، وبعد الألم ثمة الرحيل المقدس.

أوه، الثقل. ثقل رأسي المروّع وقد اقتلعته الغيوم وراح يحومُ في الفضاء. الجسد مثل حزمة هشة من القش. الغيوم تسحب شعري وكأنه وشاحٌ عَلِقَ في عجلة مركبةٍ حربية راحت تجرّها الخيول. الجسد متدلٍ

يصطدم بالنجوم المضيئة، والغيوم تسحبني فوق العالم.

لا أستطيع التوقف أو النزول.

أسمعُ انتشار المياه والسماء والستائر. أسمع ارتجاف أوراق الشجر وأنفاس الهواء. أسمع أنين الأجِنّة والحاح الرياح.

أسمعُ حركة النجوم والكواكب؛ الصدأ الخفيف يَصِّرُ لحظة تُغيِّرُ مواقعها. الممر الحريري للإشعاعات وأنفاس الأفلاك وهي تدور.

أسمع تبادل الأسرار وأنفاس الهولات. إنه مجرد تناوبِ بين أصواتِ خفيضة وأخرى مرتفعة. الاصطدام بالحقيقة يغشي بصري ويغرقني في الحلم. أحسّ بالمسافة وكأنها جرح، تَفْرِدُ نفسها أمامي مثل بساط كنيسة مُدَّ لزواج أو جنازة. وتنبسط المسافة أمامي مثل عروسٍ قرمزية تقف بين الآخرين وبيني، لكنني لا أقدر أن أسير فوقها دون أن أشعر بالضيق؛ كهذا الذي يُراودُ المرءَ في المراسيم. مراسيم السير فوق البساط الممدود إلى الكنيسة حيث تبدأ الطقوس الغريبة عليّ. أنا لا أتزوجُ ولا أموت. تكبر المسافة بين المجتمعين؛ بين الآخرين وبيني وتغدو أكثر اتساعاً.

ثمة مسافة. لم يسبق وأن سرْتُ فوق البساط لحضور مراسيم ما؛ زخم حياة الجَماهير والموسيقى الحقيقية ورائحة الرجال. لم أحضر أبداً حفل زواجٍ أو جنازة. إن كل ما يحدث في حياتي ليس له مكان سوى

برج جرس الكنيسة حيث أكون وحيدةً مع صوت الأجراس الـمُصَمّ يهتف بأصوات حديدية، أو في القبو حيث تآكلت على ضوء الشموع وروائح البخور المخزّنَة مع الفئران.

لا أستطيع أن أكون واثقةً من أي حدث أو أي مكان، وحدها عزلتي أنا متأكدةٌ منها. أخبِرْني بِمَا تقولُه النجوم عني. هل لزُحَل عيونٌ من البَصَل تنتحب طوال الوقت؟ هل لعطارد ريش دجاجة يغطّي عقبيه، وهل يضعُ المريخ قناعاً واقياً من الغاز؟ وبرج الجوزاء، التوأمان المنطلقان، هل يدوران طوال الوقت على هيئة صورة متطابقة ـ الجوزاء، التوأمان؟

ثَمة شرخٌ في رؤيتي ، وسوف يظل الجنونُ يتدفق من خلاله. أطِلْ عليَّ منحنياً، هناك إلى جانب سرير جنوني، وساعدني كي أنهض دون عكازات.

أنا امرأة مجنونة تومضُ البيوت لها وتفتح أرحامها. الدلالةُ تحدّق فيَّ من كل مكان مثل عملاق يخفي طيفه. الدلالة تطلعُ من الزقاق شديدة الرطوبة، والوجوه الكئيبة تتدلى من نوافذ بيوت غريبة. وبإصرار أعيد بناء نمط شيءٍ مفقود منذ الأزل ولا أستطيعُ نسيانه. ألتقط روائحَ الماضي من زوايا الشوارع وأعرفُ الرجال الذين سيولدون غداً. وخلف النوافذ هنالك إما أعداءٌ أو مُصلّون. هي ليست مسألة تتسم بالسلبية أو الحياد، إنما الأمر يتعلّق بالدلالةِ والقصدية دائماً. حتى

الحجارة ـ بالنسبة لي ـ تحملُ تعابير كهنة.

أسير من تلقائي إلى الأمام، دائمة التوقع لحدوث مُعجزات.

إني واقعةٌ في شرك أكاذيبي، وأريد الحقيقة. لا أستطيع الإفصاح عنها لأنني أشعر برؤوس الذكورة داخل رحمي. ستكون الحقيقة صفقة مع الموت، بينما أفضّلُ حكايات الجنّ الملفقة. أنا ملفعةٌ بالأكاذيب التي لا تنفذ إلى روحي. كما لو أن الأكاذيب التي أرويها ثيابٌ. تنشقٍّ صدفة الأسرار وتكبر أثناء الليل من جديد. لكنني، وفي اللحظة التي أخطو فيها نحو كهف أكاذيبي، أسقط في العتمة، وأرى وجهاً يحدّق فيَّ بنظرة رجلٍ أحْوَل.

أَذكرُ البردَ على كوكب المشتري يجمّدُ الأمونيا، ومن بلّوراتها وُلِدَتْ الملائكة. وأفلاكٌ من الأمونيا والميثان تحيط أورَانوس. أذكرُ أعاصير الميثان المشتعل فوق زُحَل. وعلى المريخ أذكرُ النباتات التي تشبه حُزَمَ الأعشاب في بيرو وباتاغونيا؛ لونها أحمر مغر، نباتاتٌ معدنية صدئة وطحالب وحزازيات. قضبانٌ حديدية ترفعُ الصلصال الأحمر والحجر الرملي الأحمر. للضوء هناك صوتٌ، وأشعة الشمس أوركسترا.

4

عينان واسعتان، مقطعٌ جانبي لوجه من عرق نبيل، فمٌ عنيد. جين؛ متشحة بالفراء ورموشها من الفراء، تمشي ورأسها مرفوع للأعلى، والأنف في مواجهة الريح. العينان نحو النجوم، تمشي بغرورٍ تجرّ ساقها المشلولة. عيناها أعلى من المستوى البشري. ساقها تتهدلُ خلف الجسد الطويل، هامدةً تشبه كرة الحديد ذات السلسلة المعدنية التي تقيّد السجين.

سجينةُ الأرض هي، وهذا يناقضُ رغبتها في أن تموت.

ساقها تزحفُ خلفها، لربما أبقتها على الأرض. الساق الميتةُ الثقيلة تشبه كرة الحديد وسلسلة السجين.

أصابعها الشاحبة النحيلة مرهفة الحسّ تعذّب الغيتار. تضرب الأوتارَ وتعذّبها بخوفها بينما صوتها الهامس يغني؛ ووراء أغنيتها تخبيء عطشها، وجوعها،

ومخاوفها. ولحظة تدير مفاتيح قيثارتها كي تضبطها تتقصفُ الأوتار فجأةً فتمتلىء عيناها بالرعب لانكسار عالمها.

تغني وتضحك : أنا أحبُّ أخي.

أنا أحبُّ أخي. أريد حملاتٍ صليبية واستشهاداً، فأنا أجد العالم صغيراً جداً.

تتبلورُ دموعُ الهزيمة المملّحة في زوايا عينيها القلقتين.

لكنني لا أنتحبُ أبداً.

حملتْ مرآةً في يدها ونظرتْ إلى نفسها بمحبّة.

نارسيس يحدّقُ في نفسه عبر مرايا لانقْان. وفرسان سفر الرؤيا الأربعة يمضون عبر الرياح الراعدة. والمأساة تتماوج فوق حُزام الأوتار.

إن العالم صغيرٌ جداً. ولقد تعبت من عزف الغيتار، من النسج، من المشي، ومن حمل الأطفال. إن الرجال صغار والمشاعر سريعة الانقضاء. مللتُ الدرجات والأبواب والجدران. وسئمت حياة كل يوم التي تحول دون استمرارية النشوة.

لكن يظلُّ هنالك استشهادٌ في القلق، في الحمّى، وفي العيش المتواصل مثل السماء الزرقاء في حركتها الدائمة وسطوعها المستديم.

إنك لم ترَ النجوم تكتئبُ مرةً أو تبْهُتُ. إنها لا تغفو أبداً.

جلستْ تنظر إلى نفسها عبر مرآةٍ حملتها في يدها؛ تفتش عن الرمش الذي سقط داخل عينها.

تقولُ جين: لقد تزوجتُ رجلاً لم يسبقْ له وأن رأى عيوناً ملونةً تبكي، وفي يوم زفافي بكيتُ. نظرَ إليّ فرأى امرأة تذرف دموعاً سوداء كثيرة، سوداء فاحمة. أخَفْتُهُ حين جعلته يراني أذرف دموعاً سوداء ليلة زفافي. وحين سمعتُ رنين الأجراس أعتقدتُ أنه رنينٌ عالٍ قادم من مكانٍ بعيد. لقد أصابني بالصمم. ثم شعرت بأنني سوف أبكّي دماً عمّا قريب. آلمتني أذناي بشدة. سعلت لأن الضجيج كان هائلاً ومُرعباً ويشبه الصوت الذي سمعته ذات مرةٍ حين وقفت قرب أجراس الـ «شارتريه»[1]. قال بأن صوت الأجراس لم يكن مرتفعاً أبداً، لكنني سمعتَهُ قريباً جداً مني لدرجة أنني لم أستطع سماع صوته هو. بدا الضجيج وكأنه يطرق لحم جسدي وأحسست بأذنيّ تنفجران. وبدأت خلاياي تنفجرُ واحدةً تلوَ الأخرى وسط الضجيج الهائل الذي لم أستطعِ الهرب منه. حاولتُ أن أهرب من الأجراس. صرختُ: أوقفوا الأجراس عن الرنين! لم أستطع الهرب منها لأن الضجيج كان في كل ما حولي وفي داخلي؛ وكأنه قلبي يخفق نبضات حديدية

(١) كاتدرائية السيدة في مدينة شارتريه في شمال وسط فرنسا، تمثّل لدى الكثيرين من الناس النموذج الأمثل للفن والهندسة القوطيين. (الموسوعة).

ضخمة، كأنه جدران شراييني تصفُقُ على بعضها مثل الصَّنْج، وكأنه صوت رأسي يصطدم بالجرانيت بينما مطرقةٌ تهشم قوام هيكلي. انفجاراتُ أصوات لا تنقطع جعلتْ خلاياي تنفجر، واستحالت أصداءُ التَشققات والإنكسارات فيّ إلى صدىً جديد يضربني حتى إلتوَتْ أعصابي وترنَحَتْ في داخلي. ثم ها هي تتمزق وتتناثر داخل الجرس القُرْصيّ حتى تغضّنَ لحمُ جسدي وذَبُلَ من شدة الألم. تدفقَ الدم من أذنيّ ولم أعد أحتملُ أكثر... لم أتمكن من حضور حفل زفافي، ولم أستطع أن أكون زوجة لرجل، لأنني، لأنني، لأنني..

أحبُّ أخيْ!

خلعتْ سوارها الهندي الثقيل وعانقت قواريرها الشرقية الزرقاء، واستلقتْ من جديد.

المرأة الأكثر تعباً في العالم أنا. أتعبُ حين أقف. إن الحياة تتطلب مجهوداً لا أستطيع القيام به. أرجوك، ناوليني ذاك الكتاب الثقيل - إنني بحاجة لأن أضع شيئاً ثقيلاً مثله فوق رأسي. وعليّ أن أخبيء قدميّ تحت الوسائد دائماً حتى أثبتَ على الأرض، وإلاّ فإنني سوف أشعر بأنّي أرحل، أرحلُ إلى البعيد بسرعة خيالية وذلك لخفَّتي. أعرف أني ميتّة؛ وفي اللحظة التي أنطقُ فيها كَلمةً يموتُ وفائي ويصير كذبةً تُرجفُ بَدَني. لا تَقولي شيئاً لأنني أرى أنك تفهمينني، وأنَا متخوّفة من فهمك هذا. فأنا أخافُ من أن أجدَ من يشبهني وراغبةٌ

في حدوث هذا كذلك! أنا كليّة الوحدة لكنني أخاف من أن تنكسر عزلتي فلا أظلُّ حاكمةً لعالمي وسيدةً له.
إنني متخوفةٌ بشدة من فهمك الذي من خلاله تنفذين إلى عالمي؛ عندما سوف أصبحُ ممسوكةً ومدركةً، وعليّ أن أتقاسم عالمي معك.

لكن يا جين، إنهَ الخوف من الجنون. وحده الخوف من الجنون ما سيخرجنا من دوائر عزلتنا وقدسيتها. هو الخوف من الجنون ما سيحرق جدران بيتنا الخفيّ ويرسلنا نحو العالم ننشد اتصالاً حميماً. فالعوالم التي تخلُقُها الذات وتبنيها إنما هي عوالمٌ مليئةٌ بالأشباح والهولات.

لا أعرفُ شيئاً سوى الخوف، هذا صحيح. خوفٌ يخنقني فأقفُ فاغرةً فمي وقد فقدتُ أنفاسي مثل شخصٍ حُرمَ من ذرات الهواء. وفي أحيان أخرى لا أستطيعَ سماَع أي شيء، وأصبحُ فجأةً صمّاء إزاء هذا العالم. أضربُ الأرض بقدميّ ولا أسمع شيئاً. أصرخُ ولا أسمعُ شيئاً من صراخي. وأحياناً عندما أستلقي على السرير ينشبُ الخوفُ أظفاره فيَّ من جديد. رعبٌ هائلٌ من هذا الصمت ومما يتمخّض عنه في داخلي وعلى جدران معابدي التي يطرقها. خوفٌ عظيمٌ وخانقٌ يكبر ويكبر. أدقُّ الجدران، أضربُ الأرض حتى أطرد الصمت. أدقُّ وأغني وأصْفُرُ باستمرارٍ حتى أطرد الخوف مني.

لحظة أجلسُ أمام مرآتي أضحك من نفسي. ها أنا

أمشط شعري، وها هنا زوجٌ من العيون، ضفيرتان طويلتان، وقدمان. أنظرُ إليها؛ تشبه مكعبات نردٍ في صندوق. أتساءل إذا كانت ستظلُّ على حالها لو أني حركتُها فتكون أنا من بعد ذلك. لا أعرف كيف يكون لكل هذه القطع المنفصلة أن تكون أنا. أنا لستُ موجودة. أنا لستُ جسداً. حين أصافح الأيدي أشعر بالشخص المقابل بعيداً جداً وكأنه في غرفةٍ أخرى. حينَ أنظّف أنفي أخشى من أنه قد يبقى في المنديل.

صوتُها ضبابيٌّ مُتعَبْ. ظلُّ الموت يركض خلف كل كلمة ويذبلها قبل أن تنهي نطقها لها.

عندما جلسَ أخي تحت الشمس وقَعَ ظلُّ وجهه على ظهر الكرسي، فقبّلْتُ ظلّه. قبّلْتُ ظلّه لكن القبلَة لم تمسَّه. ضاعت القبلة في الهواء وتماهتْ مع الظلّ. إن حبّ الواحد منا للآخر يشبه ظلاً واحداً طويلاً يعانق نفسه دون أملٍ في التحقّق.

5

قادتني إلى بيت المحرّمات. كان البيت الوحيد الذي لم تشمله بيوت زودياك الأثني عشر. لا يمكن الوصول إليه عبر درب اللبّانة، ولا في السفينة الزجاجية التي يمكن للمرء من خلال قعرها الشفاف أن يتتبّع حدود القارات المفقودة، ولا الاستدلال عليه بالأسهم الدالة على اتجاه الريح. لا يمكن الوصول إليه بملاحقة صوت أصداء الجبل.

كانت الغرف متصلةً ببعضها عن طريق الأدراج - لم تكن من غرفة بمستوى ارتفاع الأخرى - وكل الدرجات قديمةٌ وبالِية. ثمة نوافذ بين الغرفة والأخرى؛ نوافذ صغيرة مثلَ عيون التجسس كي يتمكّن المرء من أن يتحدّث في العتمة من غرفة إلى التي تجاورها، دون أن يرى وجه الآخر. الغرفُ كَانت مليئة بلهاث البحر المتناغم والمنطلق من أصداف بحريّة كثيرة. والنوافذ

مطلّة على بحر ساكن حيث ثُبّتت بالصمغ أسماك جامدة فوق الأرضيّة الملوّنة. كل شيء في بيت المحرمات معدٌ كي يكون ساكناً، إلاّ أن كل الأشياء تخافُ الحركةَ والدفء، وتخاف أن يهربَ منها الحبُّ والحياة فيُفقدان للأبد.

كل الأشياء كانت معدّة كي تكون ساكنة، وكل الأشياء كانت تتفسّخ وتبلى. سُمِّرتْ الشمسُ في السقف السماء، والقمرُ ثُبِّتَ في حنيّته المشرقية.

ثمة غرفةٌ في بيت المحرماتِ لا يمكن العثور عليها، غرفةٌ بلا نافذة، هي قلعةُ عشقهمَ. غرفةٌ بلا نافذة حيث التحم العقل والدم في اندغامٍ لا ذروة فيه ولا جذور له مثل الأسماك. التقاء النظرات واختلاط الكلمات مثل شراراتِ تتزاوج في الفضاء. والاصطدام بين صورهم المتشابهةَ يطلق رائحة الطرفاء[1]، والرمل، والأصداف المتعفّنة والطحالب الميتة. إن حبهم يشبه مداد الحبّار [2]؛ مأدبة من السموم.

وبينما أتجوّل متعثّرة بين غرفة وأخرى، دخلتُ غرفة اللوحات؛ هناك جلسَ لوط ويدّه على نهد ابنته[3]، بينما المدينة خلفهما تحترق؛ ينفتح شقٌ وتسقط في

---

(١) شجرة نحيلة الأغصان (المورد).
(٢) السائل الأسود الواقي الذي يفرزه سمك الحبّار (المورد).
(٣) ورد ذكر لوحة (لوط وابنته) في يوميات الكاتبة كجزء من رسالة كتبها لها أنطونين آرتو، وربما يكون هو من رسمها. (المترجمة).

البحر. هناك، حيث جلسَ الأب وابنته، كان السجاد الشرقيّ أحمرَ وثابتاً، لكن الاضطراب الذي يهزّهما كان جلياً في الصخور التي تنفلق من حولهما، وفي الأرض التي تتثاءب تحت أقدامهما، وفي الأشجار تصعد ملتهبة إلى الأعلى كالمصابيح، وفي السماء تبعثُ بدخانها وتحترقُ بنارٍ حمراءَ غاضبة. كل شيء يتفسّخ بفعل المتعة في حبّهما والخوف العظيم منه. متعةُ قبضة يد الأب على نهد ابنته، ومتعةُ الخوف الذي يُرهقها. ثوبُها ضيقٌ وضاغط على جسدها كي يَبْرُزَ صدرها وينبثق بين أصابعه، بينما المدينة تتصدّعُ باحتراقها وتبصقُ زبد اشتعالها بين فكيّ النيران، والمباني الضخمة في المدينة اللاهثة الممزّقة تغرق من رعب الفاحشة وتسقط في البحر من هول هسيس اللعنة الأبديّة. ليس من صرخة خوف يطلقها لوط أو ابنته، بل من المدينة الواقعة في ألسنة اللهبِ تطلع، ومن الرغبة التي لا تنطفئ لأبٍ وابنته، لأخٍ وأخته، ولأمٍ وابنها.

نظرتُ إلى ساعة كي أجد الحقيقة. كانت الساعاتُ تمضي مثل أحجار شَطرنجٍ عاجيّة تعزف على البيانو مقطوعةً موسيقية، والدقائق تتسابق فوق الأسلاك مثل جيشٍ من النمل. الساعات مثل نساء سود طوال بين سيقانهن أجراسٌ كالأقراص. الساعات تدق باستمرار حتى أنني لم أستطع عدّها. سمعتُ الخفقان لنبضات قلبي؛ سمعتُ وقع خطوات أحلامي، وكانت نبضة

الزمن ضائعة بينهما مثل وجه الحقيقة.

دخلتُ غابةً من الأشجار مقطّعة الرؤوس، النساء منحوتات خيزران، اللحم مقدّدٌ مثل لحم عبيدٍ قضوا في خدمة شاقة، الوجوه مقسومة إلى نصفين بواسطة إزميل نحّاتٍ؛ نصفين منشقين إلى الأبد، وكان عليّ أن أتجول وأتنقل في المكان حتى أشاهد المرأة الكاملة. تماثيل مبتورة مضلّعة ـ إحدى عشر وجهاً بإحدى عشرة زاوية ـ في صناديق خشبية معرّقة وسريعة الانعطاب. أجزاءٌ من أجساد، وأجسادٌ مبتورة الأيدي ومقطوعة الرؤوس. جذعُ مسك الروم [1] وعقب أخيل، والحدبات والزوائد، وقدم مومياء، كلّها في خشب متفسّخ. الخشب المعرّق مرنٌ نُحتت منه قسماتٌ بشرية. على الغابة أن تبكي وتنحني مثل أكتاف الرجال، فالتماثيل الميّتة تستوطن بطون الأشجار الحيّة. والغابة مليئة الآن بالوجوه المفكّرة والملامح المتفكّرة. تصير الأشجار رجلاً وامرأة، وجهين اثنين، يتوقان إلى رعشة الأوراق. الأشجار تنحني والأخشاب تلمع، والغابة ترتجف من العصيان المرير الذي سمعْتُ عويله داخل الإحساس الغابيّ العميق، وتبكي فَقدان أوراقها وفقدان قدرتها على التحوّل.

إضافة إلى ذلك، ثمة غابة الجصّ الأبيض، وبيوض الجصّ البيضاء. بيوضٌ بيضاء كبيرة فوق مقاعد

---

(١) نوع من النرجسيات. (المورد)

فضيّة. إنها قصيدة تأمليّة للمولد. كل بيضة وعد، وكل واحدة هي أصلٌ نصفُ متشكلٍ لرجلٍ أو امرَأة أو حيوانٍ لم يُعْرَف بعد. الرحمُ والبذرةَ والبيضة: إن أول الندى أكثر قدسيةً من الزهرة التي ستتفتح فيما بعد. البيوض ناصعة البياض، ساكنة توحي بالأمل دون أن تنكسر. لكن الشجرة المقطوعة والممددة هناك قد أنبتت غصناً أخضر حياً يضحك ساخراً من النحّات.

6

فتحتْ جين كل الأبواب وفتشتْ كل الغرف. وفي كل غرفة كان النزيل المروَّع ينظر بدهشة. قالت لهم: «أرجوكمْ، علّقوا لي شيئاً يتدلى خارج نوافذكم. علّقوا لي شالاً أو منشفةً ملونة أو بساطاً. أنا ذاهبةٌ إلى الحديقة وأريد أن أرى كم من النوافذ يمكنني عدّها، فلربّما وجدتُ الغرفة التي يختبىء فيها أخي عني. لقد أضعتُ أخي. أتوسّلُ إليكم، فليساعدني كل واحد منكم.» نزعتْ شراشف الطاولات، وأنزلتْ ستارةً حمراء، وغطاء سرير مرجاني اللون، وقطعة قماشٍ صينيّة، ثم دلّتها جميعاً بنفسها من النافذة.

نزلتْ بعد ذلك إلى حديقة الأشجار الميّتة، وركضت فوق الممرات المحمومة بالمقذوفات البركانية، فوق شست [١] الميكة[٢]، وكانت كل العناصر المعدنية

---

(١) صخر مبلور يمكن أن ينفلق بسهولة إلى طبقات متعددة. (المورد).

(٢) الميكة مادة شبه زجاجية يمكن أن تنشطر إلى رقائق عديدة. (المورد).

تشتعلُ في طريقها ، الميسكوفايت [1] مثل عروس، البايرايت [2]، والسيليكون المائي، وكبريتيد الزئبق، واللازَوَرْد [3] يشبه شظايا كوكب المشتري الرحيم؛ كلّها سُحقتْ ببعضها وضُغطت معاً؛ جواهر وكواكب مذابة عولِجَتْ بخيميائية الهواء والزمن والفراغ. لقد مُزجت في بعضها معدناً ثابتاً بثبات الخوف من الموت والخوف من الحياة.

جَفَّ المَنّي في صمت الصخر والمعدن. الكلمات التي لم نصرخ بها، والدموع التي لم نذرفها، واللعنات التي ابتلعناها، والعبارة التي اقتصرنا دون أن نكملها، والحب الذي قتلناه ـ كُلّها استحالت إلى معدن حديدي مغناطيسي، إلى تورمالين [4]، إلى عقيق البايرايت. تخثّر الدمُ وصارَ لازورداً. تكلّس الدم ، ترصَّص وصارَ غالينا [5]. الدمُ أكْسَدَ ولَوْمَنَ وكَبْرَتَ وكَلَّسَ [6] البريق المعدني للنيازك الميّتة والشموس المتعبة في الغابة ميتة الأشجار وميّتة الرغبات.

واقفةٌ هي على تلّة من الأرثوكلاز[7]، وأصباع

---

(١) نوع من أنواع الميكة. (المورد).

(٢) معدن أصفر مكوّن من كبريت وحديد. (ن.م)

(٣) معدن أزرق تشتق منه الحجارة الكريمة. (ن.م)

(٤) حجر شبه كريم. (ن.م)

(٥) كبريتيد الرصاص. (ن.م)

(٦) المصادر: التأكسد، والتلومن(من المنيوم) والتكبرت (من الكبريت) والتكلس ـ على التوالي.

(٧) اسماء لمعادن مختلفة

التوباز [1]والفضة على يديها. نظرتْ إلى واجهة بيت المحرمات: الواجهة المعدنية الصدئة لبيت المحرمات. ثمة نافذة واحدة مصراعها صديءٌ ومغلق بإحكام. نافذة معتمةٌ مثل عينٍ ميتة، سُدَّت بيدِ مشعرة ومخلبية للبلابِ عتيق.

ارتعشتْ بفعل الرغبة كي لا تصرخ، كان جهداً عظيماً أنْ ظلّت واقفة. تجمدتْ دماؤها ولم يعد يُرى منها سوى الشحوب الذهبي في وجهها.

قاومتْ بينما موتُها قادمٌ إليها: أنا لا أحبُّ أحداً، لا أحبُّ أي شخصٍ، حتى أخي لا أحبّه. لا أحبُّ شيئاً سوى هذا الغياب للألم، هذا الغياب العدميّ البارد للألم.

لسنوات عديدة ظلّت واقفةً بين اللحظة التي أضاعت فيها أخاها وتلك التي نظرت فيها إلى واجهة بيت المحرّمات؛ تتحرّك في دوائر لا منتهية تحاصر زوايا الأحلام دون أن تصل نهاية رحلتها أبداً. اختصرت وكثّفت كل تعجبها من ألمها المعتّق كالصخر الهرم حيال الموت.

ووجدت أخاها نائماً بين اللوحات.

جين، نمتَ بين اللوحات بينما كنتُ جالساً لأيامٍ متصلّة أقدّس رسمك وأصلي له. لقد وقعتُ في حبٍّ

(١) اسماء لمعادن مختلفة

رسم وجهك يا جين، لأنه لن يتغيّر أبداً. وأنا خائفٌ من أن أراك تهرمين. جين: لقد وقعت في حب «أنت» التي لا تتغيّرين والتي لن تُسلبَ مني أبداً. كنت أتمنى لوَ أنك تموتين حتى لا يأخذك أحدٌ مني، ولسوف أعشقُ رسمك كما لو كنت أنت بمثولك الخالد.

انحنينا بَاحترَام لشيءٍ واحد في ذاتيهما فقط - حبّهما.

طابت ليلتكَ يا أخي!

طابت ليلتك يا جين!

مشت برفقتها ظلالٌ ضخمة، موسومةٌ بالخوف. حملا ميثاقهما مثل حليةٍ على صدريهما، ارتدياه بفخرٍ كما لو أنه درعهما الواقي.

7

استنفدتُ كتابي باحثةً عن الأمان.

كان الوقتُ ليلاً، وقد قمتُ بحركة لا مبالية داخل الحلم؛ إذ خرجتُ بسلامٍ من الأزمة،لكنني خرجتُ بحدة وجرحتُ نفسي بسبب جنوني. كان ثقيلاً هذا المشهد؛ هذا النظرُ إلى مأساة تتم في إغماضة عين، حيث تعدّ جريمة في الغرفة المجاورة بين الرجال والنساء الذين مارسوا الحبّ في حضوري على سرير الفندق ذاته.

إنني أحمل على أوتار أعصابي اسفنجات بِيض تمتصُّ المعرفة.

وبينما أتجول في كتابي يجرحني زجاجٌ حاد وشظايا قارورةٍ مكسورة فيها بقية من رائحة حيوانات منوية وعطرٍ.

صفحات عديدة أضيفت إلى الكتاب، لكنها

صفحات مثل خطوات سجين يبرح المساحة المخصصة له ذهاباً وإياباً. ما هو الشيء المخصص لي كي أقوله؟ وحدها الحقيقة تتنكّر في حكايا الجن؛ حكايات الجن التي تلتمع خلفها الحقائق كما هو الأمر خلف نوافذ المسجد المُدْرَأة. إنها الحجب تغطي الحقائق. ففي اللحظة التي أخطو فيها نحو كهف أكاذيبي أسقطُ في العتمة وأرى قناعاً يحدّق فيّ بنظرة رجلٍ أحول؛ لا أزال ملفعةً بالأكاذيب التي لا تنفذ إلى روحي، كما لو أن الأكاذيب التي أرويها ثياب.

الأكاذيب تخلق العزلة.

غادرتُ كتابي إلى غرفة الرجل الكسيح.

كان يجلس هناك بين أشياء عديدة موضوعة تحت الزجاج كأنما في متحف، وقد جمع صندوقاً من ألوانٍ لم يستعملها للرسم على الإطلاق، وآلاف الكتب بصفحاتها الملتصقة غير المفصولة بعد. كانت الكتبُ مغطاة بالغبار. معطفه الإسباني يتدلّى فوق كتفيّ مانيكان. قيثارته مطروحة جانباً وقد نزعت أوتارها من جهة واحدة فصارت مثل شعرٍ طويل مبعثر. جلس أمام دفترٍ ذي صفحات بيضاء فارغة وقال: إنني أبتلعُ كلماتي، أمضغُ وأمضُغُ كل الأشياء حتى تَفْسَد، وكل فكرةٍ أو ومضة تراودني تُصاغ إلى اللا- شيء. أريد أن أقبضَ على كل أفكاري في وقتٍ واحد، لكنها تهرب مني في كل الاتجاهات، وإذا ما استطعت أن أفعل هذا

فإنني سأقبض على نباهة العقول ـ مثل قطيع المنَّوَة[1].
ولسوف أظهر البراءة والأزدواجية، الكرم والمحاسبة، والخوف والجبن والشجاعة. أتمنّى أن أقول الحقيقة كاملة لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا لأنه يتوجّب عليّ أن أكتب أربع صفحات معاً في وقت واحد، كمثل من يشيد أربعة أعمدة طويلة معاً، أربع صفحات لما هو ظاهرٌ الآن، لذلك فأنا لا أكتب على الإطلاق. عليّ أن أكون ارتدادياً؛ أعاودُ تتبع خطواتي باستمرار حتى أقبض على الأصداء ورجعها.

كان جلده شفافاً مثل جلد مولود حديث، عيناه خضراوان بلون الطحالب. حَنَى رأسه باحترامٍ لسابينا، ولجين، ولي: يبدو للعيان أنه المسيحُ الحديث الذي صُلبَ لصَبْره على كل أخطائنا العصابية!

كان المَسيح الحديث يمسحُ العرق الطافح عن وجهه كما لو أنه جالسٌ يحتضرُ من عذاب خفيّ. لقد نحتَ الألمُ الملامحَ. العينان مفتوحتان كما لو أنهما تنظران إلى مشهد مرعب. الأجفان مُثقَلَةٌ تحملُ تعب العالم. جالسٌ هوَ على كرسيه وكأن هنالك أشباحٌ تقف إلى جانبه. ثمة ابتسامة كالإهانة. الشفاه محددةٌ وذابلة من تأثير الزبد الأسود للعقاقير. والجسد مشدودٌ مثل سلك.

أشقاء نحن في كتاباتنا، قلتُ. السرعةُ التي نشعر فيها بالدوار متماثلة. نصلُ إلى ذات المكان في لحظةٍ

---

(١) المنوّة: سمك أوروبي صغير. (المورد).

واحـدة، وهذا مـا لا يحـدث في أفكار الآخـرين. لغـة الأعصـاب التي نشترك في استخدامـها تجعلنا أشقـاءَ في الكتابة.

قال المسيحُ الحديث: كنتُ قـد وُلدتُ دونَ جِلْد، وحلمتُ ذاتَ مرةٍ بأنني أقف عـارياً فيَ حـديقـة رُتِّبَتْ وقُشِّرَت بعناية وحَذر مثل حبة فاكهة. ليس من إنشٍ واحد من الجلد تُرِكَ على جسدي؛ نُزِعَ جلدي بكامله، نُزِع كُله بلطف. ثم أُمِرْتُ أن أمشي، وأن أعيش، وأن أركض. في البدء مشيتُ ببطء. كانت الحديقة طريّة جداً وكان إحساسي بطراوتها حاداً، ليس فوق سطح الجسد وحسب؛ بل خلاله كاملاً؛ اخترقني الهواء الناعم الدافئ، وكانت الروائح مثل الإبر تنفذ من كل ثقب نازف مفتوح. كل الثقوب مفتوحة تنشق النعومةَ والدفءَ والروائح. الجسدُ بأكمله مُجتاحٌ مُبَاحٌ ويستجيب، كل خليةٍ تشعر بالحياة وكل ثقب يتنفّس ويرتجفُ ويستمتع. صرختُ من الألم، ثم ركضتُ. وحين ركضتُ جَلَدتني الريح، وكانت أصواتُ الناس مثل سوط يضربني. قد مُسستُ!

هل تدركين معنى أن يَمسَّكِ بشر!.

جفف وجهه بمنديله.

جلس الرجل الكسيح في زاوية الغرفة ساكناً.

أنت محظوظة، قال. أنت محظوظة لأنك تحسّين بالكثير؛ أتمنى لو أني أحسُّ بكل هذا. فأنت، على

الأقل، أنت حيّةٌ إزاء الألم، بينما أنا. . .

أشاح بوجهه ونظر إلى البعيد، وبينما هو يستدير رأيت العروق وقد تَنَفَّخت في جبينه، منتفخة بفعل الجهد الذي بذله: الجهد الداخلي الذي لا يستجيب له اللسان منه أو الجسد، ولا حتّى أفكاره تستجيب.

لو أننا جميعاً نقدرُ على الهرب من بيت المحرّمات هذا، حيث لا نفعل شيئاً سوى أن نخبّئ أنفسنا في الآخر، لو أنني أستطيع أن أنقذكم جميعاً - قال المسيحُ الحديث.

لكن أحداً منا لم يحتمل المرور خلال النَفَق الذي يقود من البيت نحو العالم في الجهة المقابلة من الجدران، حيث الأوراق هناكَ تكسو الأشجار والماء يجري بمحاذاة الممرات؛ حيث كان هناك ضوء النهار والفرح. لم نصدّق أن النفق سوف ينفرج عن ضوء النهار: خفنا من الوقوع في شباك العتمة من جديد، وخفنا من العودة من حيث جئْنا - من العتمة والليل. ربما يستدقُ النفقُ ويضيقُ عندَ نهايته كلّما مشينا فيه أكثر، ثم ينغلق حولنا، يَحْصُرنا ويضيق علينا أكثر وأكثر حتى نختنق. سوف يصير أثقل وأضيق، ويخنقنا بينما نحنُ نسير.

عرفنا فيما بعد أن ثمة ضوء نهارٍ وراء بيت المحرمات، لكنّ أحداً منا لم يجرؤ على السيرِ نحوه.

كلنا نظرنا الآن إلى الراقصة التي وقفت ترقصُ في

منتصف الغرفة رقصَ امرأة بلا ذراعين. كانت ترقص وكأنها صَمَّاء لا تقدر على مرافقة نغمة الموسيقى. رَقصت وكأنها لم تسمع صوت الصَّنج بين أصابعها. كان رقصها منفصلاً ومعزولاً عن الموسيقى، وعنّا، وعن الغرفةِ وعن الحياة. وكان صوت الصَّنْج مثل خطوات شبح.

رقصت وهي تضحك، وتتنهد، وتتنفس، وكأنما تصنع كل هذا لنفسها. لقد رقصت مخاوفها، تقفُ في منتصف كل رقصةِ تُنصتُ إلى لومٍ لم نستطع سماعه، أو تنحني لتصفيقٍ لم يصدر عنّا. كانت تصغي إلى موسيقى لم نستطعَ سماعها، وتحرّكُها هلوساتٌ لم نستطع الإمساك بها.

سُلبت مني ذراعايَ، غنَّت. عُوقبْتُ لتماسكي، فتماسكَتُ أكثر. تَشَبَّثْتُ وعانقتُ كل الذين أحببتهم؛ قبضت على اللحظات الجميلة في الحياة؛ أحكمت قبضتي على كل ساعة مفعمة وجميلة. كانت ذراعاي دائماً مشدودتين وفي توق شديد للعناق. أردت أن أحضنَ وأن أعانق الضوء، والرياح، والشمس، والليل، وكل العالم. أردتُ أن أعانقَ، أن أداوي، أن أهزّ، أن أهدهد، وأن أحيط، وأن أطوّق. حملتُ وعانقت الكثير حتى انكسرت ذراعاي وانفصلتا عني. ثم انفلتَ كل شيء مني فيما بعد. وحُكم عليّ ألاّ أعانق.

وقفت تهتزّ وترتجف إذ تنظرُ إلى ذراعيها ممدودتين أمامها الآن من جديد.

نظرتْ إلى يديها: مضمومتين بإحكام ففتحتهما ببطء، فتحتهما تماماً مثل المسيح: فتحتهما بطريقة توحي بالتسليم والتضحية؛ هَجَرت وسامحت. وكانت، بيديها وذراعيها المفرودتين، قد فتحت الطريق أمام كل الأشياء كي تفيضَ بعيداً عنها.

لم أحتمل رحيل الأشياء. لقد اختنقتُ بغضبي بسبب كل هذا التدفق، وكل الرحيل، وكل الحركات.

ورَقَصَتْ؛ رقصتْ مع الموسيقى ومع أيقاع دوران الأرض؛ استدارتْ مع دورانها مثل قرصٍ يقلّب كل وجوهه نحو الضوء والعتمة على حد سواء. إنها ترقصُ نحو ضوء النهار.

أناييس نن



بيت المحرَّمات

ثمة التساؤل عن الحقيقة: أهي وجهٌ آخر أم وجهُ الآخر؟

يضعنا هذا النص الروائي أمام تعقيد لا يمكن للحقيقة ذاتها أن تقبل به: فالحقيقة موزعة فينا، وبيننا. وفي الآخر المختلف عنّا. في الأشياء وبينها كذلك، وفي الآخر الذي هو نحن، وفي الواصل الشفاف المتقصّف بين كل هذه الاختلاطات.

الحقيقة القلقة تتمثّل وجه كائنٍ أو جماد، سطح أو صوت. وجه الخوف والهولات والمتعة الغريبة في الانسياق لصوت الأجراس وتمثّل صور الأشجار مقطوعة الرؤوس أو تلك القائمة. وفي الأسماك المتحايلة الألوان. وإذا ما عرفنا أن كل هذه الصور تمتزج داخل الذات لتشكّل عالماً آخر جديداً هو الحقيقة التي تملك وجهاً آخر مختلفاً: نخاف منه ونخشاه كما حكايا الجن الملفقة تتخايل من خلفها الحقائق.

ثمة انفصال غير متصل، واتصال غير منفصل يشهدهما هذا النص الروائي في آن معاً: الأجواء الحاضرة المعروفة هي ذاتها المختلفة تماماً. والزمن الحاليّ هو زمنٌ آخر ليس بالحاليّ الحاضر. وتفاصيل هي بالتفاصيل الماثلة أمامنا لكنها ـ هناك ـ ليست كذلك. والأحدث التي لم نشهدها هي التي تشهد الحقيقة علينا بها : أنّا شهدناها نحن ولو في الخفيّ الكامن منا.

المترجمة



تلفاكس 5522544 6 00962 ص.ب 950252 عمّان 11195 الأردن